

(1)

مفهوم الشهادة ومنازل الشهداء

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : □ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ □ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن لله (عز وجل) عبادًا اصطفاهم وخصهم بالشهادة ، حيث يقول تعالى : □ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ □ ، ولشرف مسمى الشهادة تعددت معانيها ، فهم شهداء : لأن الله سبحانه وتعالى وملائكته (عليهم السلام) شهدوا لهم بالجنة ، ولأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وشاهدون لما أعدّه الله سبحانه لهم من النعيم ، وشاهدون على صدق وعد الله تعالى إياهم ، وغير ذلك من المعاني الطيبة التي تزيد اللفظ شرفا ورفعة ، وتبين مكانة الشهداء عند ربهم ، يقول تعالى : □ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ □ .

وليس أدعى للأمل في رحمة الله من إنسان بذل روحه من أجل وطنه ، دافع عنه ، ومات من أجله ، فينال مرتبة الشهادة ، وهي تجارة رابحة لن تبور ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : □ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ □ ، فمقام الشهادة من أعلى المقامات عند الله تعالى .

(2)

والشهادة في سبيل الله تعالى أقسام ؛ أعلاها منزلة ، وأعظمها مكانة : الشهادة في مواجهة العدو ؛ دفاعاً عن الوطن ، وابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ ، وَأَثْرَيْنِ ؛ قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ ؛ فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى) .

وهناك ألوان من الشهادة لا تقل قدراً ولا مكانة ؛ منها : كل من استشهد في حماية وطنه ، أو شيء من مقدراته ، أو بسبب عمله على رفعة ؛ كالشرطي الذي يحمي دور العبادة ، والذي يحمي السائحين الذين يأتون لبلادنا ، والذي يحمي الآثار ويحافظ عليها ، فيستشهد بسبب إخلاصه في عمله ، وحرصه على أدائه على الوجه الأكمل ، وكل ما على شاكلة ذلك فهو في سبيل الله تعالى ، كالموظف العام الذي يحرص على صيانة المال العام ، فيستشهد بسبب ذلك .

وكذلك من قتل دفاعاً عن نفسه ، أو عن غيره ، أو عن عرضه أو عرض غيره ، أو عن ماله ، أو مال غيره ، فهو شهيد ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) ، فكل هؤلاء يحافظون على بلادهم ومقدراتها ، ويحمون الأموال والأنفس والأعراض التي حرم الإسلام الاعتداء عليها ، وأمر بحمايتها ، والدفاع عنها ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ؛ دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَرْضُهُ) .

(3)

ولأن الشهادة منحة يَمْنَحُهَا اللهُ (عز وجل) لأفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل ، فهم في أفضل المنازل يوم القيامة ، ومن ثمرات الشهادة : أن الشهداء لا يشعرون بالموت وشدته ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ) ، وبأمنون من عذاب القبر وفتنته ، فقد قال رجل : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إِلَّا الشَّهِيدُ؟ قال : (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً) ، ولا ينقطع عملهم الصالح أبداً : يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ) ، ولهم جزيل الأجر ، وكريم العطايا ، فالشهيد : "يَعْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ " .

كما أن الشهيد يبعث يوم القيامة مكرماً تفوح منه رائحة المسك ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللُّونُ لُونُ الدَّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ) .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ لِي وَلَكُمْ .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ؛ سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه ، والتابعين .

إخوة الإسلام :

(4)

إن شهداءنا الأبرار مخلدون في ذاكرة الأمة ؛ مثالا للتضحية ، والرجولة ، والشرف ، والقدوة ،
وشاء الله (عز وجل) أن يمنحهم الحياة الحقيقية الأبدية التي لا مثيل لها ، حيث يقول تعالى
: □ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ □ ، يقول (صلى الله عليه
وسلم) : (أَرَوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطَّلَاعَةً ، فَقَالَ : هَلْ تَسْتَهُونَ شَيْئًا؟
قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ نَسْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ، فَمَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا
رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى
نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكُوا) .

على أن من سأل الله (عز وجل) الشهادة بصدق وإخلاص بلغه الله تعالى منزلتها ، يقول نبينا
(صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى
فِرَاشِهِ) ، فمن كان همه حماية دينه ووطنه والحفاظ على مقدرات بلاده ، وقتل في سبيل
ذلك ، فهو شهيد .

فهنيئاً لمن اصطفاه الله تعالى للشهادة ، فأكرمه برفقة الأنبياء والصديقين والصالحين ، وأنعم
بها من رفقة ، حيث يقول سبحانه : □ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا □ .

اللهم ارحم شهداءنا ، واحفظ مصرنا ، وسائر بلاد العالمين .